مَجَالِس النُّور

يَاخَيْرَ مَنْ شَبَّ فِي الإِسْلاَمِ وَاكْتَهَلاَ
وَمَنْ بِهِ عِزّنَا فِي المَغْرِبِ اكْتَمَلاَ
هَذِي رِحَابُكَ فِرْدَوْسٌ مُنَوَّرَةٌ
وَمُنْتَدىً بِنُجُومِ الفِكْرِ قَدْ حَفَلاَ
حَجّتْ إِلَيْكَ وُفُودُ العِلْمِ شَائِقَةً
إِلَى مَشُوقٍ إِلَيْهَا يُنْعِشُ الأَمَلاَ
تُعِيدُ لِلسُنَّةِ الغَرَّاء دَوْلَتَهَا
وَتَسْتَرِدُّ لَهَا أَمْجَادَهَا الأُولاَ
أَرَضَيْتَ طَهَ وَقَدْ أَحْيَيْتَ سُنَّتَهُ
وَنِلْتَ أَجْرَ الذِي أَحْيَا وَمَنْ عَمِلاَ
أَبْدَعْتَهَا سُنَّةً عَاشَتْ بِهَا سُنَنٌ
لَبِسْنَ مِنْ آفَةِ النِّسْيَانِ ثَوْبَ بِلَى !
نَفَضْتَ عَنْهَا غُبَاراً كَادَ يَحْجُبُهَا
وَاسْتَرْجَعَتْ عَهدَهَا الزَّاهِي الذِي وُصلا
رَفَعتَ أَقْدَارَ أَهْلِ العِلْمِ فَارْتَفعَت
عَلَى مَنَابِرَ كَانَتْ قَبْلَكُم طَلَلاَ !
وَعَانَقَتْ فِيكَ منْهَاجاً وَمَدْرَسَةً
تُزِيحُ عَنْ جَوْهَرِ الإِسْلاَم مَا انْتُحِلاَ

رَأيْتُ فِيهَـا عُكَـاظـاً وَهِي جَـامِعَـةٌ
لاَ لَغْـو فِيهَـا وَلاَ دَعْـوَى وَلا جَـدَلاَ
وَإنَّمَـا رَوْضَـةٌ تَشْـدُو بَـلاَبِلُهَـا
أشْجَى اللُّحُـون بِمَـا يُـرْوَى وَمَـا نَـزَلاَ
مِنْ آيَـةٍ أحِكمَـت أوْ سُنَّـةٍ حُمِلَت
يَشُـدُّهَـا نَسَبٌ بَـالمُصْطَفَى اتّصَـلاَ
كَأنّ بغْـدَاد تَحْيَـا فِـي مَجَـالِسِهَـا
وَمَـالِكـاً جَـاءَ يَـرْوِي بَعْضَ مَـا نَقَـلاَ !
تُصْغِي المَـلاَئِكُ فِيهَـا وَهِـيَ خَـاشِعَـةٌ
تُلْقِي عَلَى الحَفْـلِ مِنْ أنْـوَارِهَـا ظُلَـلاً
يَسْـرِي صَـدَاهَـا إلَـى الـدُّنْيَـا فَيُنْعِشُهَـا
وَيَفْضَحُ المَسْخَ مَـاتُمْلِيـهِ وَالـدجَـلاَ

* ● *

قَـدْ رَشحتَكَ المَعَـالِي أنْ تَكُـونَ لَهَـا
وَلَمْ تَجِـدْ لَكَ فِيمَنْ حَـوْلَهَـا بَـدَلاَ
لَمْ تَنْفَطِـم عَن لِبَـانٍ كُنْـتَ رَاضِعُهَـا
وَلَمْ تَكُنْ عَـاشِقـاً بَعْـدَ الـوِصَـالِ سَـلاَ
وَبَـوَأتُكَ عُـلاَهَـا فَـاسْتَـرَحْتَ لَهَـا
وَلَم تَجِـدْ قَطُّ فِي مَـرْضَـاتِهَـا مَلَـلاً

غَـذّتْكَ بِـالعِلْـمِ حَتَّى صِـرْتَ زِينَتَـهُ
وَكَـانَ قَبْلَكَ مِنْهَـا جَيْـدُهُ عَطِـلاً !
تَـزْهُـو المَحَـافِلُ إذْ تَعْلُـو مَنَـابِـرَهَـا
كَأنَّمَـا أنْتَ سَحْبَـانٌ أوْ ابنُ جَـلاَ !
وَيَشْتَهِي النّـاسُ لَـوْ كَـانَتْ جَـوَارِحُهُم
مَسَـامِعـاً أوْ غَـدَتْ أعْضَـاؤهُـم مُقَـلاَ !
لِيَسْمَعُـوا الـدرَ مِـن أغْلَى مُنَضِـدِهِ
وَيُبْصِـرُوا المَجْـدَ مَحْفُـوفـاً بِخَيْـرِ مَـلاَ
إشْـرَاقُ فِكْـرِكَ يَجْلُـو كُـلّ مُعْضِلَـةٍ
وَيَسْتَضِيءُ بِـهِ مَـنْ أخْطَأ السُبُـلاَ
كَمْ وَاجَهَتكَ العَـوَادِي وَهِيَ كَـالِحَـةٌ
فَلَـمْ تخفكَ وَكُنْـتَ المُلْهَـمَ البَطَـلاَ !
عَلَّمْتَ مَنْ سَـاسَ أنّ الحُكْمَ مَـدْرَسَـةٌ
وَان مَنْ حَكَمُـوا قَـدْ أشْبَهُـوا الـرُّسُـلاَ !
أمَـانَـةٌ فِي يَـدَي حَـامٍ وَمُـؤتَمَنٍ
مَـا نَـامَ عَنْ حَقّهَـا يَـوْمـاً وَلاَ غَفَـلاَ
أكبَـرتُ فِيكَ طُمُـوحـاً لاَحُـدُودَ لَـهُ
سَيَـانِ عِنْـدَكَ مَـا أعْيَـا وَمَـا سَهُـلاَ
فَبَـارَكَ اللّـهُ مِن رَبًّىٰ وَمَن غَـرَسَتْ
يَـدَاهُ غَـرْسـاً سَقَيْنَـاهُ فَمَـاذَ بُـلاَ !

سِـــوَاكَ يَسْعَى إلَى آمَـــالِـــهِ وَجِـــلاً
يَمْشِي الهُـوَيْنَى وَتَمْشِـي لِلْعُـلا عَجِـلاَ !
جَلَّتْ أيَـــادِيـكَ أنْ تُحْصَى بِمَلْحَمَـــةٍ
أوْ أنْ يُـوشِّحَ فِيهَـا شَـاعِـرٌ زَجَـلاَ
وَجَـدْتُ فِيكَ مَجَـالَ القَـوْل ذَا سَعَـةٍ
وَمَنْ يَجِـدْ مَـوْرِداً مُسْتَعْـذَبـاً نَهَـلاَ
أنْتَ الـــذِي صَنَعَ الحُسَّـــادَ فِـي وَطَنِي
فَأغْمَضُـوا أعْيُنـــاً مِمَّـا رَأوْا خَجَـلاَ !
قَـدْ رَاعَهُم فِيـهِ مَـاقَـدْ شِـدْتَ مِن نُصُبٍ
وَمُعْجِـــزَاتٍ تَعُمُّ السّهْـلَ وَالجَبَـــلاَ
بِمَـــا تُـــؤسِسُ مِن مَجْـــدٍ وَمِـنْ قِيَمٍ
أطْلَقْتَ كُـلّ لِسَـــانٍ كَـــانَ مُعْتَقَـــلاً
مَـــا كَـــان لِلّـــهِ لَمْ تُفْصَم أوَاصِـــرُهُ
وَمَـــا يُـــرَى لِسِـــوَاهُ انحَلّ وَانْفَصَـــلاَ !

* ● *

يَـا لَيْلَـــةَ القَـدْرِ ! مَـــا أسْنَـاكِ مَنْـــزِلَـةً
وَمَـــا أجَـلّ كِتَـــابـــاً فِيكِ قَـــدْ نَـــزَلاَ !
قَـــدْ قُمْتَ فِيهَـــا أمِيـرَ المُـــومِنِينَ كَمَـــا
عَـــوَدْتَنَـــا ضَـــارِعـــاً لِلّـــهِ مُبْتَهِـــلاَ

وَمِن وَرَاكَ شُيُـــوخُ العِلْـمِ دَاعِيَـــةً
مَنْ يَسْتَجِيبُ لِمُضْطَـــرٍ إذَا سُئِـــلاَ
أنْتَ الضّمَـــانُ لِهَـــذَا الشّعْب تَمْنَحُـــهُ
أمْنـــاً يُجَنِّبُـــهُ فِي سَيْـــرِهِ الـــزَّلَـــلاَ
وَرَائِد صَـــادِقُ الـــرُّؤيَـــا تُحِـسُّ بِمَـــا
يَشْكُـــو وَأنْتَ الـــذِي يَسْتَـأصِلُ العِلَـــلاَ
وَدُمْ لأمّتِنَـــا الكُبْـــرَىٰ فَـأنْتَ لَهَـــا
أبٌ نَصُـــوحٌ إذَا مَـــاخَـــاذِلٌ خَـــذَلاَ
لَمْ أمْتَـــدِحْكَ فَضَـــوْءُ الشّمْـسِ فِي وَهَجٍ
لَمْ يَخْفَ عَمّـنْ لَـــهُ عَيْنَـــانِ أوْ أفَـــلاَ !
وَالشّعْـــر لَغْـــوٌ إذَا لَمْ يَـــدْعُ قَـــائِلُـــهُ
إلَى كَمَـــالٍ وَلَـــمْ يَلْهَجْ بِمَـــا كَمُـــلاَ !
وَلاَحَظتكَ عُيُـــونُ اللّـــهِ سَـــاهِـــرَةً
مَـــا حَل مَـــوكِبُـكَ المَيْمُـــونُ وَارْتَحَـــلاَ
وَعَـــاشَ شبـــلاَكَ فِي نُعْمَى وَفِي رَغَـــدٍ
وَأُلْبِسَا مِنْ رِضَـى رَاعِيهِمَا حُلَلاَ
وَعِشْتَ حَتَّى تَـــرَى عَيْنَـــاكَ مَـــارْفَعَت
يَـــدَاكَ مِن قِمَـــمٍ قَـــدْ طَـــالَ وَاكْتَمَـــلاَ !